

الأشكال الأسرية

-مقاربة نسقية مفاهيمية-

درفوف محمد

طالب دكتوراه في علم الاجتماع، بجامعة تلمسان

مقدمة:

إذا كان معنى الأنثروبولوجيا هو علم الإنسان، يتضح أن موضوع هذا العلم هو الإنسان والإنسان هو الإطار الوحيد الذي يحدد الموضوعات التي يدرسها هذا العلم.

أما الزمان و المكان فلا يقيدان الموضوعات التي تدخل في نطاقه، بمعنى أعم هو العلم الذي يدرس الإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى يومنا هذا. فهو يدرس الإنسان في كل زمان، وكذلك يدرسه في كل أنحاء العالم وبصورة أدق في كل أجزاء الكرة الأرضية، أي يدرس الإنسان في كل مكان⁽¹⁾.

وهكذا لا يتقيد هذا العلم بفترات الزمان أو بمحاجر المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه وهو الإنسان. ولكن الإنسان موضوع واسع وشامل ويجب تحديد هذا الموضوع بصورة أضيق حتى نستطيع تمييز هذا العلم عن العلوم الطبيعية والاجتماعية الأخرى التي تدرسه أيضا.

إن هذا العلم يهتم بالجنس البشري، فيدرس أجسام أفراده ومجتمعاتهم ووسائل الاتصال فيما بينهم وكل ما ينتجونه سواء أكانت مادة أو علاقة اجتماعية أو فكرة.

واهتم الأنثروبولوجيون الأوائل بدراسة مظاهر الحياة الاجتماعية للمجتمعات البدائية، إذ اجتذبتهم غرابة تلك المجتمعات واختلافها عن المجتمعات الأخرى وخاصة الأوروبية. ويمكن تلخيص الأسباب التي دفعت الزعيم الأول من الأنثروبولوجيين إلى ذلك الاتجاه فيما يأتي:
- كان أهم ما يبحثون عنه هو اللغات والعادات الغريبة التي تختلف وتتناقض مع لغات وعادات مجتمعاتهم الأوروبية وأصبح هذا تقليدا على مر السنين فبينما يهتم الأنثروبولوجيون بالمجتمعات شبه البدائية يهتم علماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء السياسة والقانون بالمجتمعات المتعدنية التي تعرف على الأقل القراءة والكتابة.

ويرى بعض الأنثروبولوجيين أن الاهتمام بالمجتمعات البدائية يعد أهم ما يميز الأنثروبولوجيا عن العلوم الاجتماعية الأخرى. وأصبحت هذه الفكرة غير صحيحة في القرن العشرين حيث انتشرت الدراسات الأنثروبولوجية الخاصة بالمجتمعات المتعدنية وخاصة القرى.

وكذلك بعض الدراسات المختصة بتحديد معالم حضارات المجتمعات المتقدمة مثل المجتمع الأمريكي والروسي والصيني وأمثلة تلك الدراسات للمهاجرين الأوروبيين والصينيين واليابانيين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ويعيشون في مجتمعات شبه مغلقة يحتفظون فيها بلغاتهم الأصلية وعادات أوطانهم الأولى.

يتضح أن علم الأنثروبولوجيا يتميز بالنظرة الكلية الشاملة، أي المنهج الكلي التكاملية الذي يهدف إلى تحديد جميع عناصر الثقافة في مجتمع ما، والعناصر المادية والمعنوية التي تتداخل في تكوين الوعي الثقافي لذلك المجتمع. وأثر ذلك على علاقات أفراد المجتمع وعناصره وتأثيره على الروابط الاجتماعية التي تربطهم⁽²⁾.

إنه عند دراستنا لقبيلة ما علينا أن نبحث في كل عنصر مادي أو اجتماعي أو فكري في حياة تلك القبيلة، بحيث فصل في النهاية إلى تحديد طريقة الحياة التي يعيشها أفراد تلك القبيلة، وبذلك يهتم بملاحظة مساكنهم وملابسهم، وأدواتهم ونظام العائلة والقرابة والنظام الاقتصادي والمعتقدات والطقوس الدينية واللغة المستخدمة والسحر، والشعوذة ووسائل الضبط الاجتماعي من سنن اجتماعية وتقاليد، وكذلك تحديد صور الفن المنتشرة، كما أنه يعنى بدراسة النظام السياسي والجماعات التي تتكون منها القبيلة والمراكز الرئيسية في تلك الجماعات والأدوار الاجتماعية للأفراد في داخلها. وخلاصة القول أن الأنثروبولوجي يدرس ثقافتها من جميع الجوانب المكونة لها.

إن التزام علم الإنسان بالمنهج الكلي التكاملي يدفع الأنثروبولوجي إلى الاهتمام بالمجتمعات شبه البدائية الصغيرة الحجم حيث يصبح في الإمكان تطبيق المنهج التكاملي، وحيث يستطيع عالم واحد الإمام بكل جوانب ثقافة المجتمع.

ولا شك أن الأنثروبولوجي لن يصل إلى معرفة العلاقات الاجتماعية في المجتمع الصيني الضخم أو المجتمع الأمريكي أو المجتمع الغربي كما يعرفها عالم الاجتماع. وكذلك لن يصل إلى معرفة نظام الأسعار ونظام البنوك، كما يعرفها عالم الاقتصاد. كما أنه لن يفهم قوانين تلك الأمم المتعدية بنفس الدقة التي يصل إليها رجال القانون.

ولكنه يستطيع وحده أن يدرك الصورة ككل ويعرف الحقائق الأساسية لتلك العلوم من حيث أنماط السلوك المكتسبة في تلك القبيلة لكي يستطيع تحديد عناصر يستطيع أن يرسم صورة كلية وشاملة لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية في مجتمعات صغيرة الحجم.

وعندما تقدمت وكثرت أبحاث علماء الاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين والقانون أصبح في مقدور الأنثروبولوجي الاستفادة من تلك الدراسات للوصول إلى تحديد عناصر حضارة المجتمع المتقدم كبير الحجم والغني بالعلاقات الاجتماعية المعقدة المتشابكة.

إن الإنسان ليس مجرد حيوان ثديي بمعنى أنه يتكاثر عن طريق التناسل ويختص بدراسة ذلك قسم الأنثروبولوجيا الطبيعية، ولكن الإنسان هو حيوان عقلي يتميز عن جميع الحيوانات بالقدرة على التفكير ولذلك يسمى الجنس البشري الحالي باصطلاح الإنسان العاقل، واستطاع الإنسان عن طريق عقله تغيير صور عناصر البيئة المحيطة به بصنع الأدوات التي يستخدمها لإشباع حاجته واستطاع كذلك أن يخترع القواعد التي تنظم العلاقات الاجتماعية بين البشر.

ويعرف القسم الثاني من الأنثروبولوجيا المتخصص في دراسة حضارة الإنسان بالأنثروبولوجيا الثقافية وهو ينقسم إلى عدة فروع نظرا لتنوع واختلاف موضوعاته.

ويدرس هذا القسم في الأنثروبولوجيا الثقافية الثقافة. والمعنى المبسط لذلك المفهوم هو طريقة معيشة مجتمع ما، سواء أكان ذلك المجتمع بدائيا أو متخلفا أو نامية أو متقدم، والثقافة من صنع الإنسان، وهي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل قانون التطور وقانون البقاء للأصلح، ولذلك يدرسها هذا القسم بمنهج علمية لا تختلف عن المناهج التي تستخدمها العلوم الطبيعية في دراسة ظواهر الطبيعة الأخرى.

إن قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة هي أهم خاصية تميز الإنسان عن باقي الثدييات والحيوانات جميعا ومن أهم عناصر الثقافة اللغة، فعن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنقل من جيل إلى آخر فيمكن نموها وتقدمها. كما أن الثقافة تزود اللغة بمعظم مضمونها، فهي التي تعطي الإنسان المواضيع التي يتكلم فيها. وتشمل الثقافة كذلك كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل الملابس، والمباني والآلات والأدوات التي تزداد كثافة كلما تقدم الإنسان.

ومن أهم عناصر الثقافة العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، أي النظم الاجتماعية التي يخترعها الإنسان بصورة جماعية لينظم تلك العلاقات الاجتماعية. فيجب التمييز والفرقة بين العلاقات الاجتماعية الإنسانية التي تدخل في نطاق الثقافة والعلاقات الاجتماعية التي تظهر بصورة غريزية فطرية عند بعض الحشرات والحيوانات، بل إن تلك العلاقات الاجتماعية الغريزية أكثر تنظيما من بعض العلاقات الإنسانية.

وخلاصة القول إن السلوك الاجتماعي أكثر تقدما من الثقافة إذ تمتد ظاهرة المجتمع إلى أزمنة بعيدة في القدم في تاريخ الحياة على ظهر الأرض. أما الثقافة فهي ترتبط بظهور الإنسان على وجه الأرض.

وكان لاكتشاف الثقافة على يد العلامة TYLOR أكبر الأثر في تنظيم موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية في إطار واحد، فهو المركز التي تنتظم حوله معظم الظواهر التي ترتبط من قريب أو بعيد بالإنسان⁽³⁾.

ولإعطاء فكرة عن الموضوعات الكثيرة والمختلفة التي تدخل في نطاق الثقافة الدقيق: "بأنها الكل المتكامل لأنماط السلوك المكتسبة التي يأخذ بها معظم أفراد مجتمع معين.

يجمع هذا التعريف كل أنماط السلوك التي يكتسبها الفرد في المجتمع الذي ينتمي إليه وهكذا يدخل في الثقافة كل أنماط السلوك التي تمثل علاقة الإنسان بالمادة مثل أسلوبه في بناء مسكنه وفي ملبسه وفي الأدوات والآلات والأسلحة التي يستخدمها فإن كل عنصر مادي من صنع الإنسان ويطبق بصورة جماعية يعد جزءا من الثقافة".

وتشمل الثقافة كذلك جميع أنماط السلوك التي تمثل علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أي النظم الاجتماعية مثل نظم اللغة والاقتصاد والعائلة والسياسة والدين والأخلاق ونظم القرابة والعادات والتقاليد والآداب العامة والفنون. كما أن الثقافة تجمع أيضا كل أنماط السلوك التي تمثل علاقة الإنسان بعالم الأفكار مثل المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها مجتمع معين وكذلك القوانين العلمية التي يصل إليها.

إن هذه المجموعات للعناصر الثقافية لا توجد في الواقع الاجتماعي بصورة مستقلة عن بعضها وإنما هي في حالة تداخل بحيث لا يمكن التمييز بين ما هو مادي وما هو فكري وما هو اجتماعي.

ويشكل الزواج وأساليبه والعادات التي تنشأ معه و منه نوعا من أنواع هذا النمط والسلوك الاجتماعي، كما أنه يشكل نمطا سلوكيا يمثل علاقة الإنسان بمحيطه.

1- الأسرة ووظائفها وأشكالها:

1-1- تعريف الأسرة ووظائفها .

إنه لا يمكن أن يوجد بناء اجتماعي بدون مجتمع، يعمل من خلاله، ولا يمكن أن يوجد مجتمع دون عدد من الأفراد يكونونه. فالإنسان في كل مكان ينتمي على الأقل إلى وحدتين اجتماعيتين، الأسرة وهي أول جماعة يعرفها الطفل، والمجتمع المحلي community وهو في الغالب الوحدة الاجتماعية الثانية التي يعرف عليها الإنسان بعد الأسرة.

والمجتمع المحلي هو أكبر جماعة من الأشخاص الذين يعيشون معا ويقوم تعاملهم على أساس الاتصال الشخصي أي وجهها لوجه. وهكذا فإن الأسرة الزوجية والمجتمع المحلي هما الوحدتان الاجتماعيتان الوحيدتان ذات الانتشار العالمي.

للأسرة تعريفات متعددة، و تعريف العلامة "ميردوك"⁽⁴⁾ من أوضح التعريفات الشهيرة وينص على أن الأسرة: "هي جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع.

وتتكون الأسرة على الأقل من ذكر بالغ وأنثى بالغة وطفل سواء أكان نسلهما أو عن طريق التبني". وقام العلامة ميردوت بمقارنة الأسرة في 250 مجتمع إنساني فلاحظ وجود ثلاثة أشكال رئيسية للأسرة الإنسانية، أهم تلك الأشكال الأسرية النووية Nuclear Family باعتبارها النواة أو الخلية الأولى للمجتمع الإنساني وأحيانا تسمى بالأسرة الزوجية Conjugal Family ويوجد من يسميها الأسرة الصغيرة وتتكون من زوج واحد وزوجة واحدة وأطفالهما وقد يحدث أن يقطن معهم أشخاص آخرون، وعندها تتجمع أكثر من عائلة صغيرة في ظروف معينة وبشروط خاصة يتكون شكلان آخران للأسرة فتوجد الأسرة المتعددة للأزواج أو الزوجات وهي تجمع عائلتين صغيرتين أو أكثر بشرط أن يكون الزوج أو الزوجة مشتركة في أكثر من أسرة صغيرة واحدة.

أما الشكل الثاني فهو الأسرة الممتدة وهي تتكون على الأقل من عائلتين صغيرتين إحداهما امتداد للأخرى. لا يخلو مجتمع إنساني من الأسرة الزوجية ولذلك هي ظاهرة اجتماعية عمالية وقد توجد وحدها، أي الشكل الوحيد للأسرة في المجتمع وأحيانا أخرى توجد في وضعية مركبة بحيث تكون الوحدة الرئيسية في مركب اجتماعي أكبر حجما كما يحدث في الأشكال الأخرى للأسرة.

فالفكرة الشائعة هو تصور وجود الأسرة الزوجية وحدها في معظم المجتمعات الإنسانية ولكن الدراسات العلمية المقارنة تؤكد عكس ذلك.

يرى العلامة "هوبيل"⁽⁵⁾ أن حوالي 25% من المجتمعات البشرية توجد بها الأسرة الزوجية وحدها وفي حوالي 50% من المجتمعات الإنسانية لا توجد الأسرة الزوجية وحدها وإنما يوجد بجانبها أشكال مركبة أخرى وخاصة الأسرة الممتدة. و توصل العلامة "ميردوك"⁽⁶⁾ إلى نتيجة مماثلة فقد قارن بين 192 مجتمعا إنسانيا فلاحظ أن 25% منها (47 مجتمعا) يأخذ بنظام الأسرة الزوجية فقط وأن 48% من تلك المجتمعات (92 مجتمعا) تجمع مع الأسرة الزوجية نظام الأسرة الممتدة، و 27% من تلك المجتمعات (53 مجتمعا) تأخذ بنظام الأسرة متعددة الأزواج أو الزوجات. ولكن يجب ملاحظة أن تلك المجتمعات يوجد بها أيضا نظام الأسرة الزوجية بالإضافة إلى تعدد الأزواج أو الزوجات. ويمكن القول بأن الأسرة الزوجية تتمتع بانتشار عالمي لا يتمتع به أي شكل آخر. وتقوم الأسرة الزوجية بوظائف رئيسية كثيرة، بعضها ذات انتشار عالمي أي توجد في كل مكان وهي الوظيفة الجنسية والوظيفة الاقتصادية والوظيفة التكاثرية والوظيفة التربوية.

بالنسبة للوظيفة الجنسية نجد أن المجتمعات الجنسية جميعا تبيح الاتصال الجنسي بين قطبي الأسر أي الزوج و الزوجة، قبل أو بعد إتمام مراسيم الزواج. ويؤدي الاتصال الجنسي إلى تقوية العلاقات الاجتماعية بين الزوج والزوجة وبالتالي تستطيع الأسرة أن تحقق الوظائف الأخرى.

تجب ملاحظة أن المجتمع الإنساني لا يبيح ذلك الاتصال بصورة مطلقة، وإنما يضع له قيودا معينة، وينظم الوسائل والظروف التي يتم فيها ذلك الاتصال. ويهدف المجتمع من ذلك التنظيم إلى حفظ كيان الأسرة وصيانة صحة الزوجين.

وأثبتت الدراسة الميدانية أن المجتمعات الإنسانية لا تعطي الأولوية للوظيفة الاقتصادية التي تتمثل في تعاون أعضاء الأسرة على المعيشة. ومما يدل على ذلك أن بعض المجتمعات تبيح الاتصال الجنسي خارج نطاق الأسرة فمثلا في قبيلة بانارو لا يسمح للعريس أن يتصل بعريسه إلا بعد أن تلد تلك العروس نتيجة لاتصال جنسي بين العروس وأحد أصدقاء والد العريس.

وما يلاحظ من دراسة مقارنة قام بها العلامة "ميردوك" وجد 25 مجتمعا من 250 مجتمعا قارن نظم الأسرة فيها يباح فيها الاتصال الجنسي بين الأفراد غير المتزوجين والذين لا يرتبطون بصلة قرابة، ويوجد 20 مجتمعا تبيح ذلك الاتصال بشروط معينة وتمتخ 20% من المجتمعات العلاقات الجنسية قبل الزواج بين غير الأقارب، ولكن بعض تلك المجتمعات تبيحها بين أقارب معينين.

كما تمت ملاحظة أن 10% من المجتمعات يباح فيها الاتصال الجنسي بين الرجل المتزوج وأية فتاة أخرى بشرط أن لا تكون قريبته. من ذلك يتأكد أن القول بأن الدافع الجنسي يكون أبدا السبب الوحيد لنشأة الأسرة الإنسانية.

تقوم الأسرة كذلك بوظيفة التكاثر، ولا يمكن أن يغفل أحد أهمية ودور تلك الوظيفة، فعن طريقها يستمر الجنس البشري في الوجود، وعن طريقها يستمر وجود المجتمع الإنساني. لذلك لا يخلو مجتمع إنساني من المراسيم والطقوس التي نظمها احتفالا بولادة الأطفال، وكذلك لا يخلو مجتمع من الجزاءات التي تفرض على الوالدين أو أحدهما في محاولة قتل الطفل أو التخلص منه.

بالإضافة إلى القوانين والجزاءات والتقاليد توجد عوامل نفسية تؤكد حماية الأطفال والحفاظ عليهم، ومن ذلك دافع الأمومة، والأبوة، وتبين بأن أقوى علاقة اجتماعية تجمع بين فردين هي علاقة الأم بطفلها وتلك علاقة عميقة تقوم على أسس فسيولوجية تتمثل في الحمل والولادة بالإضافة إلى دوافع نفسية قوية مثل دوافع الأمومة.

ولذلك تقوم الأم وتتفانى في العناية بطفلها، ويقوم الأب والأشقاء وأخوات الطفل بدور ثانوي في الرعاية الحميمية بالطفل حديث الولادة. إن الوظيفة التناسلية والرعاية بالطفل لا تقوم بما أية وحدة اجتماعية غير الأسرة ولا شك أن المجتمعات تختلف في صور وتفصيل تلك الوظائف ويترتب على ذلك الاختلاف نتائج متنوعة في سمات شخصيات أفراد المجتمع الواحد، وأطفال الأسرة الواحدة.

ومن الحقائق الثابتة أنه مهما تقدم المجتمع الإنساني فإنه لا يستطيع أن يجد بديلا عن الأسرة للقيام بوظيفة التناسل والعناية بالأطفال. وحاولت بعض المجتمعات إنشاء مؤسسات (دور حضانة خاصة) للقيام بوظائف رعاية الأطفال حديثي الولادة، ولكن تقابلها عقبات كثيرة مما أدى إلى عدم انتشار تلك المؤسسات.

وتقول العلامة "مارجريت ميد" في هذا الشأن: "لقد تبين بصورة واضحة أن الأطفال الذين يوضعون في مؤسسات خاصة بعد الولادة تصيبهم مشاكل وأمراض كثيرة رغم إحاطتهم برعاية جسمية جيدة، إذ أن هناك آثارا سيئة جدا على الأطفال الذين يفصلون عن أمهاتهم بعد الولادة ومن أمثلة ذلك التأخر العقلي والإخفاق في تعلم الكلام والبلادة وفقد الإحساس، والنكوص وأحيانا الموت"⁽⁷⁾.

وتقوم الأسرة كذلك بوظيفة لا تقل أهمية عن الوظائف السابقة وهي تربية الأطفال اجتماعيا إذ أن الإنسان يولد لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ولد فيه وعليه أن يكتسب كمية هائلة من التراث الاجتماعي والخبرات والمهارات. ولابد للطفل كي يتعلم أن يخضع دوافعه الفطرية للقواعد التي تضعها الحضارة التي ينتمي إليها.

وتقوم الأسرة بعملية تلقين وتعليم الطفل كمية غير قليلة من أنماط الحضارة التي ينتمي إليها وبالتالي يستطيع أن يكون عضوا في ذلك المجتمع ويطلق علماء النفس الاجتماعي على عملية التلقين هذه اصطلاح التنشئة الاجتماعية بينما يسميها الأثنروبولوجيون بعملية التنشئة الثقافية.

أما الوظيفة الاقتصادية للأسرة نجد أن الإئتلاف الفسيولوجي بين جسم الرجل وجسم المرأة جعل من الأسرة وحدة متكاملة على درجة كبيرة من الكفاءة، فالرجل بقوته الجسمية التي تفوق قوة المرأة يستطيع أن يقوم بصورة أفضل بالأعمال التي تتطلب بعض القوة.. ولا يعوقه في أدائه عمله الأعباء الفسيولوجية المترتبة على الحمل والولادة والرضاعة والدورة الشهرية وهي الأعباء الملقاة على عاتق المرأة. وتؤدي المرأة الأعمال التي يمكن القيام بها في المنزل أو بالقرب منه، وقد لوحظ وجود صورة مختلفة لتقسيم العمل على أساس النوع في كل المجتمعات، وأن المزايا والنواة المتضمنة في هذا النظام تفسر لنا انتشاره في كل المجتمعات الإنسانية. وترتب على تخصص كل نوع في فئة معينة من الأعمال أن وصل الزوجان إلى درجة كبيرة من الكفاءة والإتقان وأصبحت الأسرة تكون وحدة اقتصادية متعاونة منتجة ونلاحظ أنه بينما يؤدي للاتصال الجنسي إلى تقوية العلاقة الاجتماعية بين الزوج والزوجة فقط إلا أن التعاون الاقتصادي يؤدي إلى تقوية العلاقات الاجتماعية بين جميع أفراد الأسرة بين الآباء والأبناء وبين الإخوة والأخوات.

هذه الوظائف المذكورة ليست الوظائف الوحيدة للأسرة الزوجية ولكنها الوظائف الأساسية العالمية، فقد يحدث أن تقوم الأسرة بوظيفة دينية تتمثل في قيام الأب بدور الكاهن عند تأدية الطقوس الدينية وقد تقوم كذلك بوظائف الأخذ بالتأثر أو الترفيه أو إعطاء أعضائها مركزا اجتماعيا معيناً.

ولاشك أن المجتمع قد ينشأ مؤسسات تشارك الأسرة في بعض وظائفها ولكن لا يمكن لتلك المؤسسات أن تلغي وجود الأسرة.

للأسرة الزوجية طبيعة مزدوجة تتمثل في أن كلا من الزوج أو الزوجة يرتبط بأسرتين زواجيتين في الوقت نفسه فيكون في واحدة منهما الإبن أو البنت وفي الأخرى يكون الأب أو الأم.

الأسرة الزوجية وحدة اجتماعية غير مستمرة لفترة طويلة إذ لابد أن تموت وتختفي في فترة لا تزيد في أغلب الأحيان عن قرن من الزمان. يعيش أعضاء الأسرة الواحدة تحت سقف واحد وعندما تنشأ الأسرة الزوجية عن طريق مراسم الزواج لابد أن يكون قد أعد لها عش الزوجية أي البيت الجديد.***

واختلفت المجتمعات الإنسانية في تحديد مكان هذا البيت، فتطبق بعض المجتمعات نظام السكنى مع أسرة الزوج، ويتمثل في أن يعيش الزوجان في مسكن أهل الزوج أو بالقرب منه ويطلق عليه اصطلاح virilocal⁽⁸⁾. وتأخذ مجتمعات أخرى بنظام السكن مع أسرة الزوجة ويسمى uxori local⁽⁹⁾ وعن طريقه يعيش الزوجان في مسكن أهل الزوجة أو بالقرب منه.

ويوجد عدد قليل من القبائل شبه البدائية ذات النظام الاجتماعي الضعيف والتي تترك للزوجين حرية الاختيار بين مسكن أهل الزوج ومسكن أهل الزوجة.

ويطلق على هذا النظام اصطلاح Bilocal. وتطبق عدة مجتمعات نظام السكن مع أسرة خال الزوج ويطلق على هذا النظام Avury local. وقد لا يحدد المجتمع أي نظام معين لمكان بيت الزوجية الحديثين بمعنى أن الزوجين يسكنان بعيدا عن أهلها أو مع أهل أحدهما تبعاً لمؤثرات أخرى مثل مكان عمل الزوج أو الزوجة أو للظروف الاقتصادية ويعرف هذا النظام بـ Neo local وينتشر في مدن المجتمعات المتعدية.

ويجب ملاحظة أن كثيراً من المجتمعات تجمع بين أكثر من نظام واحد من النظم السابقة فمثلاً عند قبائل الهنود الحمر المعروفة بمنود السهول والتي تقوم على الرعي يعيش الزوجان مع أهل الزوجة في السنة الأولى من الزواج ثم ينتقلان إلى منزل جديد بالقرب من مسكن أهل الزوج حيث يستقران فيه.

وبالنسبة لقبائل الاثانتي بغرب إفريقيا يوجد نظام السكن مع خال الزوج ونظام السكن مع أسرة الزوجة. تطبق الأسرة الزوجية نظام زواج واحد هو نظام وحدانية الزوج والزوجة Monugamy وقد حاول علماء الأنثروبولوجيا في القرن 19 ربط هذا النظام بمرحلة تقدم الحضارة، بمعنى أن المجتمعات المتعدية هي وحدها التي تأخذ بذلك النظام ولكن الدراسات المقارنة أثبتت خطأ ذلك وأثبتت أن كثيراً من المجتمعات البدائية طبقت هذا النظام.

1-2-1- الأشكال المركبة للأسرة:

الأسرة الزوجية تمثل وحدة اجتماعية مستقلة مثلة للشكل الأسري الوحيد في عدد قليل من المجتمعات الإنسانية ولكنها تدخل كوحدة أساسية في مركبات أكبر حجم في معظم المجتمعات الإنسانية. وتنقسم تلك الأشكال المركبة إلى قسمين أساسيين: أسرة متعددة الزوجات أو الأزواج وأسرة ممتدة.

1- الأسرة متعددة الزوجات أو الأزواج: Polygamous family

تتكون من عدة أسر زوجية تعيش معا في وحدة اجتماعية واحدة سكنية ويكون أساس ترابط تلك الأسرة الزوجية هو وجود زوج مشترك أو زوجة مشتركة.

وفي حالات وجود زوج مشترك بين أكثر من زوجة يعرف ذلك الشكل المركب باصطلاح أسرة متعددة الزوجات Polygamous family وتأخذ به معظم المجتمعات الإنسانية ولكنه يوجد في معظم المجتمعات إلى جانب الأسرة الزوجية.

وفي شكل آخر توجد زوجة واحدة مشتركة بين أكثر من زوج ويعرف ذلك الشكل المركب باصطلاح الأسرة المتعددة الأزواج POLYANDROUS FAMILY وهي لا توجد سوى في عدد قليل من المجتمعات .

وتتحدث بعض الكتب عن شكل آخر للأسرة متعددة الزوجات والأزواج ويكون ذلك في تزوج كمجموعة من الرجال بصورة جماعية مشاعة مجموعة من النساء إلا أن الدراسات الميدانية في القرن العشرين أثبت عدم وجود هذا النوع الذي يعرف في المؤلفات الأنثروبولوجية بالزواج الجماعي GROUP MARIAGE. وقد حدث ان وجدت علاقات جنسية جماعية في قبيلة -كاين جاج- بالبرازيل وكدا قبيلة -شوكشي بيسييريا وقبيلة -ديري- باستراليا .

توجد الأسرة المتعددة الزوجات في اغلب المجتمعات الإنسانية ولكن وجودها يكون إلى جانب الأسرة الزوجية في معظم الحالات . ويتكون ذلك الشكل من زوج واحد وأكثر من زوجة بالإضافة إلى الأطفال ولا بد أن تكون تلك الزوجات شرعية أي تتم بموافقة المجتمع . ولا بد أن يكون للزوج أكثر من زوجة في نفس الوقت . فمثلاً المجتمع العربي يعتبر مجتمعا متعدد الزوجات في بعض الأحيان رغم عدم انتشار تلك

الأسر إنما الشكل الأسري السائد هو الأسرة الزوجية أما الأسرة المتعددة الأزواج Polyandrousfamily فهي نادرة الوجود ولا توجد سوى في مجتمعين فقط من العينة المدروسة من العلامة -ميردوك- المكونة من 238 مجتمعا إنسانيا . ونظرا لندرة ذلك الشكل الساري فان العلامة - ميردوك - يعارض العلامة -ماكلينان- الذي أعطى أهمية كبرى لذلك الشكل عندما اعتبره احد مراحل تطور التنظيم الاجتماعي الإنساني .

إن الأسرة المتعددة الأزواج تنقسم إلى قسمين ...القسم الأول يسمى الشكل الأخوي FraternalForm ويوجد في عدد قليل من المجتمعات منها قبائل -التودا- بالهند وفيها يتزوج عدة إخوة من زوجة واحدة ويعيشون معها في وحدة سكنية مشتركة . وبالنسبة لنسب الطفل فإنها لا تشغل بالهم فعندما تكون الزوجة حاملا ينسب الطفل لأي زوج يقدم لها هدية تتكون من سهم وقوس . وعندما تحمل للمرة الثانية ينسب الطفل لزوج آخر وهكذا . ويتحقق التعاون الاقتصادي بصورة تامة . والسبب في وجود ذلك الشكل الأسري بقبائل -التودا- هو ندرة المواليد الإناث .

ويوجد ذلك الشكل الأخوي أيضا في شرق إفريقيا عند قبائل -بانانانكول- و-باهيما- حيث يؤدي ارتفاع المهور إلى تعاون عدة إخوة على دفع مهر عروسة واحدة يعيشون معها . وعندما تلد ينسب الطفل إلى أكبر الإخوة سنا أما الشكل الثاني فهو الشكل غير الأخوي nom fraternalform ويوجد عند قبائل -الماركيز- ببولينيزيا حيث يتزوج عدة رجال لا تربطهم صلاة رحم امرأة واحدة تتمتع بمركز اجتماعي مرتفع ويعيشون جميعا في أكواخ متقاربة حيث يتعاونون اقتصاديا وبهذا لا يوجد في تلك القبائل وحدة سكنية واحدة بينما تتوافر الوحدة السكنية لذلك الشكل الأسري في قبائل -التودا- .

يتولد عن الأسرة المتعددة الزوجات خلافات ومشاجرات بين الزوجات بسبب الغيرة وتوزيع الأعمال ولا يوجد مثل تلك المشكلات في الأسرة الزوجية . ونجح المجتمع في حل تلك المشكلات بصورة جزئية عن طريق عادات وتقاليدها معينة فمثلا يعيش كل زوجة في سكن منفرد ومستقل . وفي مجتمعات أخرى يعطي المجتمع للزوجة الأولى مكانة اجتماعية مرتفعة وبالتالي تحترمها الزوجات الأخريات ويطعنن أوامرهما . ويوجد مثال آخر يتمثل في نظام تعدد الزوجات الأخوات حيث يتزوج الرجل زوجتين أو أكثر تجمعهما علاقة الأخوة SORORAL POLYGYMY

1-2-2- الأسرة الممتدة :

تتكون الأسرة الممتدة من عائلتين زوجيتين أو مركبتين أو أكثر ويشترط توافر رابطة القرابة الدموية بين أعضاء تلك الأسر ويعيش أفراد تلك الأسرة الممتدة في وحدة سكنية واحدة ويسود بينهم التعاون الاقتصادي ومن صورها أب وزوجته وأبناؤه الذكور وعائلتهم وبناته . وهناك اصطلاحات أخرى تطلق على الأسرة الممتدة منها الأسرة المشتركة JOINT FAMILY ومنها أيضا الأسرة المركبة ذات تسلسل قرابي واحد . إذ يرجعنا للشكل السابق نلاحظ تواجد خط أو تسلسل قرابي واحد يرجع لأب واحد مشترك . انه ثم استخدام اصطلاح الأسرة الزوجية عند تعريف الأسرة الممتدة بمعناه الواسع وليس الدلالة على أسرة زوجية مستقلة وإنما أسرة زوجية تابعة لوحدة اجتماعية أكبر منها وهكذا تتكون الأسرة الممتدة من عائلات متعددة الزوجات أو الأزواج أو من عائلات زوجية تابعة أو منهما معا .

ولكي نميز بين العائلة الزوجية المستقلة التي تستمر كوحدة اجتماعية وبين العائلات الزوجية التي تدخل في تركيب العائلة الممتدة نسمي الشكل الثاني العائلة الزوجية التابعة وقد تكبر الأسرة الممتدة ويصبح عدد أفرادها عددا أكبر .

تتميز الأسرة الممتدة عن الأسرة الزوجية المستقلة والأسرة متعددة الأطراف الزوجات أو الأزواج المستقلة أنها تجمع في نطاقها عددا أكبر من الأجيال وقد تستمر في الوجود إلى مالا نهاية فبينما تكون الأسرة الممتدة من ثلاثة أجيال لا يوجد في الشكلين الآخرين سوى جيلين وبينما تستمر الأسرة الممتدة في الوجود دائما على أساس أن الآباء يعيشون مع أطفالهم الذين يكبرون ويتزوجون فان الشكلين الآخرين لا يستمران طويلا ويختفيان بموت الأب وزوجته أو زوجاته .

الأسرة الممتدة هي الشكل الأسري الوحيد الذي يتمتع بصفة الاستقرار في التواجد شأنه في ذلك شأن الجماعات القرابية kinjrous والمجتمع المحلي .

ولكن صفة الاستمرار هذه ليست مطلقة وإنما مشروطة بعدة شروط منها استمرار عملية التناسل ذلك أن عقم جميع الأبناء يؤدي إلى موتها . ومنها ضرورة السكنى في وحدة سكنية مشتركة وإذا تفرقت البناء بحكم العمل وظروف الحرب مثلا فان ذلك يعني انهيار الأسرة الممتدة .

تلعب قاعدة السكنى rule of residence التي تحدد المكان الذي سيعيش فيه الفتى مع عروسه بعد الزواج دورا كبيرا في بناء وتركيب الأسرة الممتدة ونظرا لتعدد تلك القواعد فقد تفرعت الأسرة الممتدة إلى أشكال متعددة وجميع قواعد السكنى تساعد على تكوين الأسرة الممتدة

اللهم إلا قاعدة واحدة وهي قاعدة عدم التقييد بمكان معين neolocalresidence التي تؤدي إلى تكوين الأسرة الممتدة لأنها لا تؤدي إلى تجميع عدة عائلات في وحدة سكنية واحدة وإنما بالعكس تعمل على تفريق العائلات الزوجية أو متعددة الأطراف وبالتالي عدم اندماجها في أسرة ممتدة .

وتبعاً لقواعد السكنى تنقسم الأسرة الممتدة إلى عدة أشكال فرعية فنجد الأسرة الممتدة ذات السكنى مع أب الزوج PARTI LOCAL EXTENDED FAMILY وهي تجمع الأسر التي يكونها أبناء الأب فتشمل الأب وزوجته وأبناءه وعائلاتهم وأحفاده وعائلاتهم ويطبق في تلك الأسر نظام السكنى مع أسرة والد الزوج . وهكذا عندما يتزوج احد الأبناء عليه أن يحضر زوجته ويعيش مع أسرة والده.

ويوجد شكل ثان يسمى Matrilocal Extended الأسرة الممتدة التي تعيش مع أسرة الزوجة. وهكذا تتكون الأسرة من الزوجة وبناتها المتزوجات مع عائلاتهن وحفيداتها وعائلاتهن وكذلك مع أبنائها وبناتها غير المتزوجين.

وأظهرت دراسة العلامة ميردوك إن الشكل الأول أكثر انتشاراً من الثاني

ويوجد شكل ثالث يعرف بالأسرة الممتدة ذات حرية السكن مع عائلة الزوج أو الزوجة Bilocal Extended FAMILY وهي تجمع الزوج والزوجة مع بعض أبنائها المتزوجين وعائلاتهم وكذلك مع بعض بناتها المتزوجات وعائلاتهن وكذلك الحال بالنسبة للأحفاد والحفيدات هذا بالإضافة إلى كل أبنائها وبناتها غير المتزوجين.

ويطبق عدد قليل من المجتمعات الإنسانية هذا الشكل الأسري . فبالنسبة للعلامة ميردوك 2.5 بالمائة يطبقون ذلك النوع أما الشكل الأول فيطبقه 20 بالمائة والشكل الثاني يطبقه 10 بالمائة .

أما الشكل الرابع والأخير فهو الأسرة الممتدة ذات السكنى مع خال الزوج Avuncu Local Extended Family وهو شكل نادر أي قليل الانتشار في المجتمعات الإنسانية ويطبقه فقط نسبة 1.7 بالمائة من مجتمعات عينة العلامة ميردوك وتتكون تلك الأسرة من الزوج وزوجته وأبنائه و أبناء أخواته المتزوجين من بناته وكذلك بعض أبنائه غير المتزوجين وكل بناته غير المتزوجات وأبناء أخواته غير المتزوجين .

إن العلاقة التي تجمع تلك الأسر الزوجية في شكل مركب واحد تتمثل في قسمين العلاقة الدموية بين الأب وابنته التي تزوج ابن أخته وتعيش معه والعلاقة القرابية القوية التي تربط الخال وابن أخته حين يقوم بتربيته وتعليمه .

ويترتب عن خاصية الاستمرار اللانهائي الذي يمكن في ظروف معينة أن تتصف به الأسرة الممتدة الكثير من المشكلات أهمها زيادة حجم وعدد الأسرة الممتدة من حيث العدد بحيث لا تكفي الموارد المحيطة في سد حاجيات الأفراد المتزايدة .

ولذلك كثيراً ما تنقسم الأسرة الممتدة إلى فرعين أو عدة فروع وتهاجر تلك الفروع إلى أماكن أخرى بحثاً عن الرزق وفي حالة توافر الموارد الاقتصادية تستمر الأسرة الممتدة في النمو وتتحول في النهاية إلى عشيرة.

تكون الأسرة الممتدة وحدة اقتصادية متعاونة ويكون مؤسس الأسرة الممتدة إذا كان حياً هو رئيس ونظم تلك الوحدة الاقتصادية وكثيراً ما يتمتع ذلك الأب بسلطات واسعة على أبنائه وعائلاتهم وكثيراً ما يسمى هذا الشكل بالأسرة الأبوية الكبيرة Patri archal Family فمثلاً عند مجتمع تانالا بجزيرة مدغشقر تبدأ الأسرة الأبوية في صورة أسرة زوجية وعندما ينمو الأبناء ويتزوجون يبنون لأنفسهم منازل جديدة متلاصقة أو مجاورة لمنزل والدهم وعندما تتزوج البنات يخرجن من منزل والدهم ويعيشن بعيداً بالقرب من منازل آباء أزواجهن ولكنهن يحترمن رغبات والدهن رغم التباعد المكاني .

ويكون الأب رئيس تلك الأسرة ويقوم بإدارة كل أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية مثل زراعة الحقول وتوزيع العمل ورعي القطعان . وبالنسبة لأعضاء الأسرة الذين يعملون باجر يأتون بما يكسبون إلى رئيس العائلة الذي يقوم باستثماره في صالح العائلة كلها . وطالما كان هذا الرئيس حياً لا يستطيع البناء تكوين ثروات شخصية وعندما يموت الأب ويرث الابن الأكبر مركز والده القيادي ولكن بصورة محدودة . ورغم استمرار الأسرة الممتدة فإن التعاون الاقتصادي يقل ولذلك لا يعطي الإخوة ما يكسبونه إلى الأخ الأكبر الذي أصبح رئيساً ويكون عطاؤهم له بمحض إرادتهم . وعندما يموت الأخ الأكبر يرثه في المركز أكبر إخوته سناً ولكن في الغالب تكون الأسرة الممتدة قد كبر حجمها بحيث أصبحت الموارد المحيطة لا تكفي أعضائها ولذلك تنقسم الأسرة الممتدة إلى عدة فروع ويكون كل فرع أسرة ممتدة مستقلة.

وهناك نموذج آخر وشكل أسري مركب يصعب إدراجه في أي من الأشكال السابقة فقد يحدث أن يعيش اخوين وعائلتهما في وحدة سكنية مشتركة ويكونون وحدة اقتصادية متعاونة. انه ساس الرابطة الذي يجمع هذا الشكل الأسري هو رابطة الأخوة ولكن بالنسبة للأسرة الزوجية والأسرة المتعددة الأطراف تكون الرابطة الأساسية هي الزواج وفيما يتعلق بالأسرة الممتدة تكون القرابة الدموية بين الأب والأم وأطفالهما هي الأساس ويطلق العلامة ميردوك على هذا الشكل الأسري اصطلاح الأسرة الأخوية المشتركة Fraternal joint Family وقد وجد هذا النوع

في ثلاث مجتمعات فقط من العينة المدروسة من طرفه وهي قبائل مانوس في ماليزيا وقبائل ياتمول في غينيا الجديدة وقبائل تينياتو من الهنود الحمر .

وتوجد الأسرة الأخرى مع الأشكال الأسرية المعروفة أي لا توجد وحدها مطلقا. وهناك شكل آخر لجماعة أسرية يشير إليه العلامة هوبيل وهي جماعة قرابية تتكون من امرأة وأطفالها وإخوتها ويكون هؤلاء وحدة اقتصادية .
ومما يساعد على وجود ذلك الشكل الأسري هو كثرة الطلاق وعدم تماسك الأسرة الزوجية ولذلك عندما يتم الطلاق تعيش المطلقة مع أسرتها وأطفالها في وحدة سكنية مشتركة .

والغرابية في هذا النظام ترجع عند العلامة هوبيل إلى عدم توافر العلاقة الجنسية بين أعضاء ذلك المركب الأسري ولذلك يرى استبعاد إطلاق مصطلح أسرة عليه ويمكن إطلاق اصطلاح عام مثل جماعة قرابية . وهذه الجماعة هي وحدة اجتماعية مؤقتة لأنها تظهر عندما تطلق الزوجة وتختفي عندما تتزوج للمرة الثانية أو عندما يتزوج الأخ وبالتالي ينفصل عن أخته وهذه الجماعة القرابية هي تعبير عن تماسك الأسرة.

2- العشيرة ووظائفها :

2-1- مفهوم العشيرة وأشكالها:

1- مفهوم العشيرة:

إذا حاولنا أن نعطي تعريفا للعشيرة وجدنا ذلك في اعتبارها امتدادا للأسرة وتتميز بتسلسل قرابي معين يتفق مع نظام سكني خاص ولذلك فهي وحدة مكانية . ويعتقد أفراد العشيرة الواحدة بوجود جد مشترك قام بتأسيس العشيرة وأحيانا يكون ذلك الجد شخصية أسطورية.
واختلف الاثنوبولوجيون في تعريف العشيرة فعرفها العلامة ميردوك بان العشيرة جماعة تتميز بقيامها على أساس تسلسل قرابي واحد **Unilineal Rule** من جانب الأب أي أبوي أو من جانب الأم . وتتميز أيضا بوحدة مكانية لأفراد العشيرة أي إن يعيش أفرادها في مكان واحد ولذلك لا بد إن تكون القاعدة السكنية التي تتبعها العشيرة متوافقة مع قاعدة التسلسل القرابي . وهناك شرط ثالث للعشيرة يتمثل في وجود تماسك اجتماعي قوي بين افراد العشيرة .

ب- أشكال العشيرة

وللعشيرة ثلاثة أشكال يسمى الشكل الأول والأكثر انتشارا بالعشيرة الأبوية **Patri clan** وهي تتكون من تجمع جماعة أبوية حول أعضائها الذكور عن طريق قاعدة السكنى مع والد الزوج وبالتالي تجمع تلك العشيرة كل الذكور والإناث غير المتزوجات للجماعة الأبوية وكذلك زوجات الذكور المتزوجين . وعندما تتزوج الأنثى تترك عشيرتها وتنقل إلى عشيرة زوجها تبعا لقاعدة السكنى . ويتبع تلك الشكل من العشيرة التسلسل القرابي الأبوي **Patri lineal Desent** ولذلك يورث اسم العشيرة إلى أعضائها الذكور ويصبحون جميعا مشتركين في هذا الاسم المشترك . أما الإناث فهن يحتفظن بالاسم لفترة محدودة تنتهي عندما يتزوجن وعند ذلك يتخذن اسم عشائر أزواجهن . ولاحظ العلامة ميردوك وجود العشيرة الأبوية في 72 مجتمعا من عينة تبلغ 250 مجتمعا قام بدراستها .

والشكل الثاني يسمى بالعشيرة الأمية نسبة للام **Matri clan** وتتكون عندما تتجمع جماعة أمية حول أعضائها الإناث في قاعدة السكنى مع أم الزوجة وهكذا تشمل كل الإناث والذكور غير المتزوجين وأزواج الإناث المتزوجات . وعندما يتزوج الذكور فإنهم يتكون عشيرة والدتهم وينضمون إلى عشائر زوجاتهم . وهذا الشكل يطبق قاعدة التسلسل القرابي من جانب الام **Matrilinal Descent** حيث ترث الفتاة من أمها اسم العشيرة وممتلكات إلام ويطبق كذلك قاعدة السكنى مع أم الزوجة **Matri Local Residence** وهكذا تعيش الفتاة بعد زواجها مع او بالقرب من أمها وبالتالي يسهل انتقال الإرث إليها . ولكن هذا الشكل اقل انتشارا من العشيرة الأبوية فبينما وجد ميردوك أن 72 مجتمعا من عينته يأخذ بنظام العشيرة الأبوية وجد 11 مجتمعا يطبق نظام العشيرة الأمية .

أما الشكل الثالث فهو نادر إذ لاحظ ميردوك-إن 04 مجتمعات فقط من العينة البالغة 250 مجتمعا تطبق شكلا أطلق عليه اصطلاح عشيرة الخال التي تتكون عندما يجتمع أعضاء جماعة أمية حول أعضائها الذكور وليس حول أعضائها الإناث ويشم ذلك عن طريق الأخذ بقاعدة السكنى مع الخال ويبدأ ذلك الشكل في التكوين عندما يأخذ المجتمع بقاعدة ترك الأولاد لمنازل آبائهم والسكنى مع أحوالهم وعندما

يتزوجون يأتون بزواجهم إلى منازل أحوالهم أو يقطنون بالقرب منهم وينتج عن ذلك في النهاية مجموعة من الذكور الأقارب الذين يشتركون في علاقة قرابية ثنائية وهي علاقة الخال بابن أخته ومع هؤلاء الذكور زوجاتهم وأطفالهم. وكثيرا ما يتزوج الذكور في تلك العشائر مع بنات أحوالهم ويوجد في ذلك الشكل تسلسل قرابي أمي وأيضا قاعدة السكنى مع الخال .

ويجب ملاحظة إن الذكور فقط هم الذين يسكنون مع أحوالهم ويتزوجون بنات أحوالهم أما البنات فإنهن يطبقن قاعدة السكنى مع أم الزوجة وبالتالي يتكون الشكل الثاني للعشيرة وهو العشيرة الأمية .

ونظرا لنذرة هذا الشكل الأخير فان بعض المجتمعات تأخذ به فمن الهنود الحمر في الخليج الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية نجد قبائل **هايدا** و**تيلنجيت** كما يطبق في قبيلة **لونجودا** شمال نيجريا و**تروبرياندر** في ماليزيا .

تختلف العشائر في الحجم فأحيانا تكون كبيرة بحيث تشمل المجتمع المحلي كله وتصبح العشيرة وحدة سياسية شبه مستقلة ويرأسها رئيس العشيرة. وقد تكون العشيرة صغيرة الحجم وبالتالي لا تشتمل على المجتمع المحلي ونما على جزء منه وفي تلك الحالة يتكون المجتمع المحلي من عدة عشائر وتسكن كل عشيرة في حي أو مكان خاص بها .

وبالنسبة للعينة المدروسة من طرف العلامة **ميردوك** يلاحظ أن المجتمعات ذات العشيرة الواحدة أكثر انتشارا من المجتمعات المتعددة العشائر فبينما يوجد الشكل الأول في 45 مجتمعا يطبق الشكل الثاني في 27 مجتمعا فقط . ويطلق على الشكل الأول اصطلاح **Clancommunités** ما الشكل الثاني فيسمى **Clan Barrios** .

يعتقد أعضاء العشيرة الواحدة أنهم من نسل جد مشترك سواء أكان ذكرا أو أنثى تبعا لشكل العشيرة وأحيانا يكون هذا الجد خرافيا فمثلا في قبائل **الداهومي** بغرب إفريقيا نجد عشيرة يعتقد أفرادها أن مؤسس عشيرتهم هو ابن حصان. ويجب ملاحظة أن أفراد تلك العشائر يعاملون تلك الحيوانات بطرق خاصة تتمثل في طقوس معينة وغالبا ما يطلقون على عشائرتهم اسم ذلك الحيوان فيقال عشيرة الحصان وعشيرة الخنزير وما إلى ذلك . ولا شك أن السبب في تلك الأساطير هو عدم معرفة أفراد العشيرة صولهم واجدهم القدماء .

2-2- الوظائف الاجتماعية للعشيرة .

أ- التضامن الاجتماعي

العشيرة وحدة اجتماعية يسودها التماسك والتضامن الاجتماعي ولذلك يسارع جميع أفراد العشيرة إلى مساعدة العضو الذي يحتاج إلى العون ويترتب عن هذا التضامن الاجتماعي شعور أفراد العشيرة بالأمن والاستقرار وهو شعور اقوي من ذلك الذي يسود الأسرة الواحدة ذلك أن العشيرة اكبر حجما من الأسرة وأكثر قوة .

ويقدم أعضاء العشيرة الواحدة أنواعا من العون لبعضهم فمثلا قد يشتركون جميعا في دمع النقود اللازمة لدفع مهر عروسة احد أفراد العشيرة وقد يصل العون إلى درجة حماية احد أفرادها ويلعب نظام الأخذ بالثار دورا هاما في هذا الأجل حيث لا تشمل الحماية فترة حياة عضو العشيرة وإنما لا بد للعشيرة أن تأخذ بئاره إذا اعتدي على حياته .

إن هذه المسؤولية الاجتماعية المتوافرة لاعمال وحياة أعضائها تجعل من العشيرة وحدة اجتماعية متماسكة .

ب- الأمن الداخلي والخارجي:

تقوم العشيرة بعملية الضبط الاجتماعي وتوفير الأمن الداخلي لأعضائها ويكون ذلك عن طريق قيام رئيس العشيرة وأعوانه بالسهرة على تطبيق القانون الذي يتمثل في مجموعة من التقاليد والأعراف ويشرف الرئيس كذلك على تنفيذ العقاب لمن يخالف تلك التقاليد والأعراف .

ويوضح العلامة -هوجين- تلك الوظيفة عن طريق ذكر حادثة وقعت في قبيلة -اونتنج جاوة - في بولينيزيا فقد حدث أن قام رئيس العشيرة بتقريع اخوين فشلا في القيام بالعمل المطلوب منهما ولكنهما لم يقبلا ذلك التقريع وبدلا من كبت ذلك الشعور فإنهما ردا على رئيس العشيرة وشتماه . ولكن يحدث بعد فترة من الزمن أن يتهم احد الأخوين بجرمة الزنا مع زوجة احد أعضاء العشيرة فيصدر الرئيس أمره بان يترك الأخوين العشيرة .

ويعد عقاب النفي من اشد العقوبات في معظم العشائر .

ويلاحظ هنا إن المسؤولية جماعية فان احد الأخوين عوقب على جريمة لم يرتكبها وإنما ارتكبها أخوه . وبما أنهما لم يصبحا من أعضاء العشيرة فان الرجل الذي انتهكت حرمة يصبح حرا في تعقب الجاني ومعاقبته بطريقته الخاصة ولن يساعد الأخ الزاني أحدا من أسرته أو عشيرته السابقة. ويعطينا المثال السابق صورة واضحة للوسائل المستخدمة في حفظ الأمن الداخلي وفي عملية الضبط الاجتماعي في العشيرة .

ج-تنظيم الزواج

تقوم العشيرة الطوطمية بتنظيم عملية اختيار الطرف الثاني في الزواج وأساس هذا التنظيم نظام أو قاعدة الزواج من الخارج Exogamy وبما أن أعضاء العشيرة أقارب فإنها تبعا لتلك القاعدة يحرم الزواج بين أعضائها وعلى العضو ان يتزوج من خارج عشيرته اي من عشيرة اخرى .ويعلق العلامة- مالينوسكي- عن تلك الوظيفة الهامة بأنها جهاز يهدف إلى تأكيد تماسك العشيرة عن طريق توجيه اشباع الدافع الجنسي نحو أفراد من خارج العشيرة .

وبتلك الطريقة تنفادى العشيرة المشاجرات بين أعضائها والذي قد يرجع إلى التنافس على زواج الفتيات الجميلات. وتؤدي قاعدة الزواج من الخارج دورا هاما في توفير علاقات الود والتعاون بين العشائر التي يجمع الزواج بين بعض أفرادها . ويجب ملاحظة أن العشائر غير الطوطمية مثل القبائل والبطون العربية تتبع نظام الزواج من داخل البطن ويفضل الزواج من ابنة العم .

د- تنظيم النشاط الاقتصادي :

العشيرة هي مالكة الأرض التي تعيش عليها ويقوم رئيس العشيرة بتوزيع العمل عن طريق تقسيم الأرض إلى أقسام وتقوم عائلة أو أكثر بالعمل في القسم الواحد واستغلاله حق لكل أعضاء العشيرة إذا كانوا حسني السيرة ولم يرتكبوا جرائم . وهؤلاء لهم حق استغلال الأرض دون ملكيتها .

هـ- تنظيم النشاط السياسي

يظهر النشاط السياسي بصورة واضحة عندما تتجمع مجموعة من العشائر في قبيلة عند ذلك يجمع مجلس القبيلة رؤساء العشائر ويقوم ذلك المجلس بتنظيم النشاط السياسي في كل العشائر التابعة للقبيلة وقد يحدث أن تصبح عشيرة رئيس القبيلة هي العشيرة المالكة وتحضى بامتيازات خاصة ومن أمثلة ذلك قبائل -التروير ياندر - بميلانيزيا وقبائل -الداهومي -و-اشانتي- في إفريقيا ومن أوجه النشاط السياسي عمليات اختيار أو انتخاب رؤساء العشائر وإعلان الحرب وتنظيم شؤون الدفاع .

قائمة المراجع:

1. winick. G dictionary of Anthropology littief of isld.A dams CO.U.S.A.1961 .P28.
2. kroeber a the subject of Anthropology, Fried MH. Readings in Anthropology thomas y crowell companyN.Y 1959.
3. STUNEVANT W ; the fields of Anthropology, in forieded : Readings in Anthropology- volI NEW – YORK 1959.
4. MURDOCK, j : Social organisation, New York, 1949.
5. HOEPEL, E, man in the Primitive world, New York, 1958.
6. MURDOCK, j : Social Structure, New York, 1949.
7. MEAD, M, SOME The cortical Considerations, on the problem of mother- child Separation, the American journal of the psychiatry vol 24, 1954.
8. Ovir مكان ذكرباللاتينية

9. Uxori زوجة

- 1- إيميل دوركاني : قواعد المنهج في علم الاجتماع , ترجمة محمود قاسم .1961
- 2- أحمد عزت راجح : أصول علم النفس , الإسكندرية 1966 .
- 3- أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعي.
- 4- د.حسن عثمانى :منهج البحث التاريخي , دار المعارف بمصر .
- 5- أحمد رشدي صالح : فنون الأدب الشعبي , دار العلم 1961 .

